المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

قرّرت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

البلاغة والنقد

للصف الأول الثانوي

الفصل الدراسي الثاني

طبعة ١٤٢٨هـ ـ ١٤٢٩هـ
٢٠٠٧ م ـ ٢٠٠٨ م

يوزع مجانا ولا يباع

ح وزارة التربية والتعليم، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية - وزارة التربية والتعليم
البلاغة والنقد : المرحلة الثانوية - الصف الأول - الرياض .
٧٢ ص - ٢١ × ٢٣ سم
ردمك ١-٣٣٠-٠٩-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٣٢٩-٠٩-٩٩٦٠ (ج٢)
١- البلاغة العربية - كتب دراسية
٢- السعودية ـ كتب دراسية ٢ ـ السعودية ـ التعليم الثانوي
ديوي ٠٧١٢ , ٤١٤ ١٦/٢٣٧٣

رقم الإيداع : ٢٣٧٣ / ١٦
ردمك : ١ - ٣٣٠ - ٠٩ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٨ - ٣٢٩ - ٠٩ - ٩٩٦٠ (ج٢)

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه ...

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به ...

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لوزارة التربية والتعليم
بالمملكة العربية السعودية

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/indes.htm
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج
curriculum@moe.gov.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد:

فهذا كتاب في مبادئ البلاغة والنقد، حسب المنهج الذي أقرته وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، وقد روعي فيه ما نصت عليه أهداف هذا المنهج من إقدار الطالبات على فهم أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، وإدراك صفات الجمال في الحديث النبوي الشريف، وتذوق ألوان الفن فيما يقرأنه من النصوص الأدبية الجيدة. ولذلك جعلنا هذا الكتاب قائمًا على تحليل النصوص، وخلصناه من القواعد الجافة التى نفّرت معظم الناشئين من دراسة البلاغة، واجتهدنا أن نعيد هذا العلم من علوم العربية إلى ما كان عليه في عصوره الزاهرة، علمًا أدبيًا أساسه إدراك الجمال، وغايته تربية الذوق. فاستلهمنا آثار المتقدمين من علماء الأدب أمثال الجاحظ والمبرد وابن قتيبة والآمدي وأبي هلال العسكري والقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني ، واعتمدنا على التراث الضخم الذي خلَّفه إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١ هـ) دون أن نغفل آراء معاصره ابن سنان الخفاجي، وبخاصة فيما يتعلق بالجمال الصوتي في الألفاظ، ثم استعنا بجهود المتأخرين من علماء البلاغة، أمثال السكاكي والقزويني، في التنظيم والتبويب، متجنبين شروحهم المنطقية التي أبعدت هذا العلم عن روائه الأول. وحاولنا ـ وراء ذلك كله ـ أن يكون هذا الكتاب وليد عصره، فتجد الطالبات بين نماذجه الأدبية صورًا من الأساليب الحديثة في الشعر والنثر، كما يجدن في طريقته التعليمية لونًا من المناقشة يفتح أذهانهن، ويوسع أفقهن، ويعينهن على الاستنباط، ويحفزهن إلى التأمل في النص الأدبي تارة، وفي أعماق مشاعرهن تارة أخرى، باحثات عن سر هذه الهزّة الممتعة التي يحدثها الأثر الأدبي الجميل.

والله نسأل أن ينفع به، وأن يكتبه لنا عملاً صالحًا.

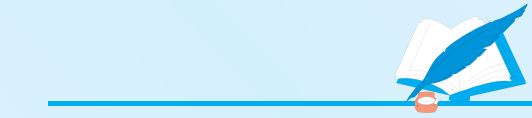

القسم الثالث

في علم المعاني

الـخبـر والإنـشـاء

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ[١] إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

(٢) وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (سورة الشعراء)

(٣) قال أبو العتاهية :

يا بائعَ الدِّينِ بالدنيا وباطِلِها ... ترضَى بدينِكَ شيئًا ليسَ يَسْواهُ

حتى متى أنْتَ في لهوٍ وفي لَعبٍ ... والموتُ نحوك يجري فاغرًا فاهُ؟

ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدرِكُهُ ... رُبَّ امرئٍ حَتْفُهُ[٢] فيما تمنَّاهُ

إنَّ المُنَى لغرورٌ، ضِلَّةٌ وهَوى ... لعلَّ حتفَ امرئٍ في الشيءِ يَهْواهُ

---

(١) ينتظرون .

(٢) هلاكه .

(٤) قال حافظ إبراهيم :(*)

من قصيدةٍ على لسانِ اللغةِ العربية :

أنا البحرُ في أحشَائِه الدرُّ كامنٌ ... فهَلْ ساءلوا الغَوّاصَ عَنْ صَدَفاتي؟

فيا ويْحَكُمْ! أبلى وتَبْلى محاسِني ... وفيكُمْ ـ وإنَّ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي(١)

فَلاَ تَكِلُوني لِلزَّمانِ ! فإنَّني ... أخافُ عليكُمْ أنْ تحين وَفَاتي

أرَى لِرِجالِ الْغَربِ عِزّاً ومَنْعَةً ... وكَمْ عَزَّ أقوامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ!

أَتَوْا أهلَها بالمعْجزاتِ تفنُّناً ... فيا لَيْتَكُمْ تأتونَ بالكلماتِ!

أَيُطربُكُمْ من جانبِ الغَرْبِ ناعبٌ(٢) ... ينادي بوأْدِي في ربيعِ حياتي؟

سقى اللهُ في بطنِ الجزيرةِ أعْظُمَاً ... يعزُّ عليها أنْ تلينَ قَنَاتِي(٣)!

حَفِظْنَ وِدادي في البِلَى وحفظْتُهُ ... لَهُنَّ بقلبٍ دائمِ الحَسَرَاتِ

ملاحظات

علمت فيما سبق أن موضوع علم المعاني هو دراسة خصائص التراكيب اللغوية من حيث دلالتها على المعنى . والمقصود بالتراكيب اللغوية نوع الجملة وأنواع الكلمات التي تتركب منها، وطريقة تركيبها، كما عرفت في النحو من أن هناك جملاً فعلية وجملاً اسمية، وأنَّ الفعل أقسام ثلاثة : ماضٍ ومضارع وأمر، وأنَّ الأصل في المفعول به أنْ يتأخَر عن فاعله، ولكنه يمكن أن يتقدم عليه كما يمكن أن يتقدم على فعله .

(*) **حافظ إبراهيم** : من أعلام الشعر في العصر الحديث، لُقّب بشاعر النيل لأنه صور في شعره أهم الأحداث التي مرت بمصر في حياته . توفي سنة ١٣٥١هـ.

(١) أطبائي .

(٢) النَّعيب هو صوت الغراب .

(٣) لين القناة كناية : عن الضعف .

فعلم المعاني يبحث في اختلاف المعنى تبعًا لاختلاف التراكيب. وأساس المعنى هو ما يسمى «بالإسناد» فحين نقول مثلاً: «اللغة العربية لغة جميلة» فنحن نسند إلى اللغة العربية ـ أو ننسب إليها ـ صفة الجمال، وبذلك يصبح لكلامنا معنى، أو يصبح الكلام ـ كما يقال في علم النحو ـ كاملاً مفيداً. ولو قلت «اللغة العربية» وسكتّ لكان كلامك ناقصًا. حقًا إن السامع سوف يعلم إنك تريدين أن تتكلمي عن هذه اللغة التي ينطق بها العرب منذ قرون طويلة، ولكن ماذا تريدين أن تقولي عنها؟ إن السامع ـ في أغلب الظن ـ سيظل منتظراً أن تقولي شيئًا عن هذه اللغة العربية، أن تقولي مثلاً، كما قلنا: إنها لغة جميلة، أو تقولي، كما قال حافظ إبراهيم في النص السابق: إنها شرفت بنزول القرآن الكريم بها، أو ما شئت من فعلٍ أو صفة تريدين أن تسنديها إلى اللغة العربية.

على أن تركيب هذه الجملة لا يأتي دائمًا في مثل هذه الصورة البسيطة: «اللغة العربية لغة جميلة» أو «شرفت اللغة العربية بنزول القرآن الكريم» فربما وقع تقديمٌ وتأخير، أو زِيَدتْ كلماتٌ تحدد المعنى، أو وقعت جملةٌ كاملة في سياق جملة أخرى.

انظري إلى قوله تعالى: «يوم يأتي تأويله يقولُ الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق» ففعل القول مسند إلى «الذين نسوه»، ولكننا نقرأ «يوم يأتي تأويله» فتحدد لنا زمان القول. ونقرأ «من قبل» فتحدد لنا بداية النسيان، ونقرأ جملة «قد جاءت رسل رَبِّنا بالحق» فنعلم ما الذي يقولونه. **فالإسناد هو أساس المعنى، ثم هناك زيادات تكسب المعنى تحديداً أكثر، وقد تكون هذه الزيادات نفسها متضمنة إسناداً جديداً.**

وإذا حلّلت النماذج السابقة، وجدتها تنقسم إلى نوعين من الجمل، أو بعبارة أخرى إلى نوعين من الإسناد:

فهناك جمل تصف أمرًا واقعًا في الحاضر أو الماضي أو المستقبل. مثلاً:

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (سورة الأعراف: ٥٣)

﴿ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

ترضى بدينك شيئًا ليس يَسْواهُ .

ما كلُّ ما يتمنىَّ المرءُ يُدْركُهُ .

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ .

أخافُ عليكم أن تحينَ وفاتي .

أرى لرجالِ الغربِ عزًّا ومَنْعةً .

أتوا أهلَها بالمعجزاتِ تَفنُّنًا .

ونقول : إن مثل هذه الجمل « تصف أمرًا واقعًا » بناءً على ظنّ المتكلم، فقد يكون الأمر الذي تصفه مطابقًا للواقع فعلاً أو غير مطابق، **ويسمى هذا النوعُ من الجمل جُملاً خبرية ، ويسمى الإسنادُ فيها إسنادًا خبريًّا .**

وإلى جانب هذه الجملة الخبرية، تجدين نوعًا آخر من الجمل التي لا تصور واقعًا، بل « **تنشىءُ** » **الإسنادَ إنشاءً ، أي « تُوجدُه » في الذهنِ بصرف النظر عن وجوده أوْ عدَمِه في الواقعِ ، ولذلك تُسمَّي هذه الجملَ جُملاً إنشائيةً** . فمنها مثلاً :

(هلْ ينظرون إلاّ تأويله » (استفهام)

« فهلْ لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُردُّ فنعملُ غير الذي كُنَّا نعملُ » (استفهام يراد به التمني) .

« ربِّ هَبْ لي حكمًا » (أمر يُراد به الدعاء)

حتى متى أنتَ في لهوٍ وفي لعبٍ؟ (استفهام)

فلا تَكلُوني للزمان (نهي) .

وكم عزَّ أقوامٌ بعزِّ لُغَاتِ ! (تعجب) .

فياليتَكُم تأتونَ بالكلماتِ (تمنٍ) .

وإذا تأمّلتِ هذه الأمثلة الأخيرة، وجدتها نوعين:

فمنها جمل إنشائية يُطْلَبُ بها شيء غير حاصل في وقت التكلم، كالاستفهام: يطلب به المعرفة. والأمر: يطلب به الفعل، والنهي: يطلب به عدم الفعل، والتمني: يطلب به الفعل.

ومنها جمل إنشائية لا يُطْلَبُ بها شيءٌ، كالتعجب، ومثله القَسَم، والمدح والذم بأدواتهما الخاصة: نِعْمَ، وبئس، وحبذا، ولا حبذا.

فالخلاصة: إنَّ أساسَ الجملة هُو الإسناد؛ وإنَّ الجملَ تنقسمُ إلى نوعين: خَبرية وإنْشائية. فالجملةُ الخبريةُ هيَ التي لها واقعٌ تُطابقُهُ أوْ لا تطابقُهُ، ويعبرون عن ذلكَ بأنّها «الكلامُ الذي يَحْتَملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه، أيْ بِغضِّ النظرِ عن قائله».

والجملةُ الإنشائيةُ: هي التي لا تُقَرِّرُ واقعًا، فهي لا تحتَملُ الصِّدْقَ والكذبَ. والنَّوعُ الطلبي من الجملِ الإنشائية هوَ الذي يُطلَبُ به شيءٌ غيرُ حاصلٍ في وقتِ التكلُّمِ، وأهمُ أنواعِه: الأمرُ، والنهيُ، والاستفهامُ، والتمنيِّ.

وتتميَّزُ الثلاثةُ الأولى ـ الأمرُ والنهيُ والاستفهامُ ـ بأنها يمكنُ أنْ تدلَّ على غيرِ معانيها الأصْليةِ، كما لا حظْتَ في بعَضِ الأمثلةِ السابقةِ، وسنعرفُ ذلك بمزيدٍ من التفصيل في الدروس التالية إن شاء الله.

وغيرُ الطَّلبيِّ مثلُ التعجُّبِ، والقَسَمِ والمدحِ والذمِّ.

والتصرفُ في استعمالِ الجمل الخبرية والإنشائية، بمعانيها المختلفة، ركنٌ مهمٌ مِنْ أركانِ البلاغةِ.

مـــقـــارنـــة

■ في أحد أيام الشتاء، الشديدة الرِّياح، الكثيرة الأمطار، قطعْتُ الجسْرَ ماشيًا على عادتي. فكم شخصًا تظُنُّني صادفْتُ في طَريقي ؟ رجلاً واحدًا وشرطيين. أمّا الشُّرْطيان فلا فضْلَ لهما في قيامهما هناكَ ، ولكنَّ الشخصَ الآخرَ جدَّدَ فيَّ الرجاءَ. ما أجْملَ المطرَ على الجسرِ وعلى النهرِ تحتَهُ، وما أقبَحَ قَعْقَعَةَ المركبات والقطارات، وقدْ شُحنَ فيها الناسُ كالمواشي! ما أشْقَى هؤلاءِ الناس! ما أثمنَ أوقاتَهُمْ، وما أرخَصَ حياتَهُمْ! ما أعظَمَ أشغالَهُمْ، وما أصغرَ أعمالَهُمْ ! وهمْ يخافون على جلودِهِمْ من الأمطارِ ولكنَّهمْ لا يخافون على رِئَاتِهِمْ من جراثيم الملاريا والسُّلِّ. يهربونَ من الهواءِ النقيِّ، ومنْ تحتِ سماءِ اللهِ الواسعة لأنَّ ذلكَ تستوجبُهُ التجارةُ. يكرهون المشيَ لأنهُ مُضرٌّ بأشغالِهِمْ. فبِئْسَتِ الأرباحُ ونِعْمَتِ الخسارةُ!.

(أمين الريحاني(*) من فصل بعنوان « من على جسر بروكلين » بتصرف) .

■ كانَتْ جلسةً ظريفةً على شاطئِ النيلِ، والنسيمُ عليلٌ، بعدَ نهارٍ يخنُقُنا بحرِّهِ ويلفَحُنا بسمُومِه، في رفقةٍ مُنسجمةٍ تتسامَرُ وتتحاوَرُ، وكلُّ شيءٍ حولَها هَادِئٌ: نورٌ هَادِئٌ : ونسيمٌ هَادِئٌ ، ونيلٌ هَادِئٌ، وحوارٌ هَادِئٌ.

وكانوا يختلفون في ثقافَتِهِم، ويتَّحدوُن في قوةِ عقْلِهِمْ، وسعَةِ نظرِهم ، ونُبْلِ عواطفِهِمْ : منْ مؤرخٍ صرفَ عمرَهُ في تحقيقِ الأحداث، والبحثِ في تعليلِها وأسبابِها ونتائجِها ، واقْتِصاديٍّ يرى كلَّ شيءٍ ورقَةً ماليةً، أوْ نقوداً ذهبيَّةً وفضيةً ، حتى ما نُسمِّيه نحنُ بواعثَ روحيةً، وأديبٍ يتفلسَفُ أوْ فيلسوفٍ يتأدَّبُ ولهُ نزعةٌ شعريةٌ وطبيعيةٌ تأمُّليَّةٌ .

(أحمد أمين(**) ـ من فصل بعنوان « في الهواء الطلق » بتصرف) .

(*) **أمين الريحاني** : كان من أوائل الأدباء اللبنانيين الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية . ثم عاد إلى الوطن العربي وتجول في ربوعه ووصف رحلاته . توفي سنة ١٣٥٩ هـ.

(**) **أحمد أمين**: كاتب مصري معاصر، عرف بمقالاته الأدبية وأبحاثه في تاريخ الأدب . عاش إلى أواسط العقد الثامن من هذا القرن .

قارني بين الفقرتين السابقتين من حيث استعمال كل من الكاتبين للجمل الخبرية والإنشائية، وتأثير ذلك في المعنى.

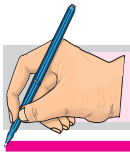

جـــربـي قلمـك

اكتبي موضوعًا من عشرة أسطر، تصفين فيه حركة المرور في شارعٍ مزدحم. استعملي الجمل الخبرية فقط.

أعيدي الكتابة في الموضوع نفسه، مستخدمة عددًا من الجمل الإنشائية مع الجمل الخبرية. اقرئي الموضوعين، سَجِّلي ملاحظاتك عن الفرق بينهما.

(**) **أحمد أمين**: كاتب مصري معاصر، عرف بمقالاته الأدبية وأبحاثه في تاريخ الأدب. عاش إلى أواسط العقد الثامن من هذا القرن.

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى في قصة السيدة مريم :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ
يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة آل عمران)

(٢) وقال تعالى في شأنِ كفارِ قريش :

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الشعراء)

(٣) وقال تعالى في قصةِ إبراهيمَ عليهِ السلام :

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

(سورة الأنبياء)

(٤) **عندما بلغ طارقَ بنَ زيادٍ**(*) ، مسيرُ لُذَريقَ ملك القوط ، قامَ وهوَ في أصحابِه فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ حثَّ المسلمين على الجهادِ ورغَّبَهُم فيه ثم قالَ:

أيُّها الناسُ ! أينَ المفَرُّ ؟ البحرُ مِنْ ورائِكُمْ ، والعدوُّ أمامَكُم، وليسَ لكُم واللهِ إلا الصدقُ والصبرُ.

(٥) **قال المتنبي** يخاطبُ سيفَ الدولةِ، ويذكُرُ إيقاعَهُ بالأعداءِ:

نَثَرْتَهُمُ فوْقَ الأحَيْدِبِ(١) نَثْرَةً كما نُثِرَتْ فوقَ العروسِ الدّراهِمُ

ملاحظـــات

لعل أول ما نلاحظه على هذه النماذج أن الجملَ الإنشائيةَ تتخلَّلُ الجملَ الخبرية، وهذا هو الغالبُ إلا في الكتابةِ العلمية.

ثم نلاحظ أن الجملَ الخبريةَ تُساقُ لعدَّةِ أغراضٍ:

أولُها ـ وهو الأصل في الأخبار العادية ـ: إفادةُ المخاطب أمراً لم يكنْ يعلَمُهُ: وذلك كما في النموذج الأول، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: «ذلكَ من أنباءِ الغيبِ نوحيه إليك» فدلّ ذلك على أن ما جاء في السورة من أخبارٍ عن قصةِ مريمَ، قد أفادَ علماً بأمور لم تكن معلومةً للرسول ﷺ، ولا لسامعيه.

وثانيها : ـ التأثيرُ النفسيُّ المناسبُ للموقف: فقوله تعالى: «فقدْ كذَّبوا فسيأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزِئُون» ، فيه وعيدٌ ظاهر، إلى جانب إفادتِه علماً بسوءِ عاقبة الكافرين.

(*) **طارق بن زياد**: القائد المسلم الذي بدأ على يده فتح الأندلس. أصله من البربر. توفي سنة ١٠٢ هـ.

(١) اسم جبل.

وقلما يكون الغرض من الجمل الخبرية التي يحتوي عليها الكلام البليغ منحصراً في مجرد إفادة العلم. **قصة السيدة مريم في القرآن الكريم تفيدُ شيئًا وراءَ الإنباء بما قد حدث لها؛ وذلك هو الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى** في خلقِه المسيحَ ـ عليه السلام ـ من غير أب، وإعطائِهِ من المعجزات. وكذلك الشأنُ في قصص القرآن الكريم بوجهٍ عام.

ولكنَّ الغرض من الجملة الخبرية قد ينحصر في التأثير النفسي. وذلك ظاهر في قول إبراهيم عليه السلام لقومه: «بلْ فعلَهُ كبيرُهُمْ هذا». فما أبعد هذا الحكم عن ظنه ـ عليه السلام ـ بل عن ظنهم أيضًا! وذلك بدليل قولهم ردًّا عليه «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون». فالغرض من هذا الخبر هو **السخرية فحسب**.

وشبيه بذلك، قولُ طارق بن زياد لجنوده «البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامكم» : لا يمكن أن يكون منه إفادة العلم بأمر لم يكن معلومًا، فالجند يعلمون يقينًا أن البحر من ورائهم، والعدو أمامهم، وإنما أراد طارق بهاتين الجملتين أن **يستحثهم على الثبات والصبر**.

والمتنبي لا يُطْلِعُ سيفَ الدولة على حقيقة لم يكن يعلمها، فسيف الدولة نفسه أدرى بما فعل في قتال الأعداء، وإنما رمى المتنبي إلى غرض آخر وهو **المدح**.

وأنواع التأثير لا تقع تحت حصر، وإنما ذكرنا أمثلةً تستطيع الطالبةُ أن تقيس عليها.

فالغرض من الجمل الخبرية في الكلام العادي، إفادة السامع أمورًا كان يجهلها.

ولكن التعبير الأدبي كثيراً مايخرج عن هذا الغرض إلى ألوان من التأثير النفسي: كالعظة، أو السخرية ، أو الاستحثاث، أو المدح، أو غير ذلك.

نصوص أخرى للمناقشة والنقد
تبين فيها الطالبة أغراض الخبر

(١) قال عَمرُو بن كلثوم (*) :

مــلأْنا البَــرَّ حــتى ضــاقَ عنَّا ومــاءُ البــحــرِ نملؤهُ سَــفــينا

(٢) قال أبو الطيب المتنبي :

أهُـمُّ بشيءٍ والليــالي كــأنهَّــا تـطاردُني عـن كـــــونِهِ وأطارِدُ

وحــيــدٌ منَ الخــلاّن في كلِّ بلدةٍ إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المســاعِــدُ

(٣) كتب أحمدُحسن الزيات :

الحياةُ جميلةٌ، وما يشوِّهُ جمالَها غيرُ هذا الإنسان ! لمْ يعشْ فيها كما تعيشُ سائرُ الأنواعِ على رسمِ الفطرة، وهدي الطبيعة ، ووحي الله .وإنما عَاشَ على قوانينَ مِنْ وضعِهِ، استمدَّها مِنْ أَثَرَته وكبريائِهِ وهَوَاه ؛ فكَانَ شرًا على نفسِهِ وحربًا على غيرِهِ .

رُبَّما اقَتَتلَ الوحشُ والوحشُ ، أوِ الطيرُ والطيرُ في سبيل القوت أوِ الأنثى، ولكنه اقتتالُ الساعة، لا يسبقُهُ تدبيرٌ، ولا يصحُبهُ حقدٌ ، ولا تلحقُهُ جَريرةٌ(١) . أمَّا الإنسانُ فهوَ كدرُ السلامِ وقذى(٢) الحياة! أحيا لنفسه ـ بفضلِ ذاكرته ـ ماضيًا يحفظُ الثأرَ ، وأوجَد لنفسه ـ بفضل بصيرته ـ مستقبلاً يحملُ الخوفَ ، فكان حاضرُهُ بينهما قتالاً مستمرًا ينقطعُ ولايفترُ، إما دَرْكًا لثأرِ الأمسِ الذي يذكُرُه ، وإمَّا كسبًا لقوتِ اليومِ الذي يتبصَّرُهُ ، وإمَّا لخوفِ الغَدِ الذي يتصوَّرُهُ .

(*) **عمرو بن كلثوم**: أحد شعراء المعلقات السبع في العصر الجاهلي .

(١) جريمة .

(٢) القذى: هو ما يصيب العين فيؤلمها من تراب أونحوه .

(٤) ولأحمد رامي من قصيدةٍ بعنوان : «القصرُ المهجورُ» :

رحلَتْ عنكَ ساجعاتُ الطيورِ وذوَتْ فيك يانعاتُ الزُّهورِ

إيهِ يا قصرُ ! ـ والحياة سطورٌ ـ أنتَ بُقْيَا لبعضِ تلكَ السطورِ

أضـــرب الخبـــر « أ »

نمـــــــــاذج

« أ »

(١) قال الله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ (سورة البقرة)

(٢) قال رسول الله ﷺ :

« الجنةُ أقربُ إلى أحدِكُمْ مِنْ شِراكِ نعلِه ، والنارُ مثلُ ذلك » رواه البخاري

(٣) قال أبو العتاهية :

أضيعُ من العمرِ ما في يدي ... وأطلبُ ما ليسَ لي في يَدِ

أرى الأمسَ قدْ فاتَني ردُّهُ ... ولَسْتُ على ثِقَةٍ مِنْ غَدِ

« ب »

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

(٢) وقال تعالى في شأن اليهود :

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ (سورة المائدة : ٦١)

(٣) قال ابن المعتز :

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها، فهو التُّقَى
كنْ مثلَ سارٍ فوقَ أر ... ضِ الشَّوْكِ يحذَرُ ما يُرَى
لا تحقِرَنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبالَ من الحصَى

(٤) كتب توفيق الحكيم(*) :

إنَّ الحضارةَ لاتبلغُ أوجَهَا حتى تبسُطَ جناحيْها على العالم المحيطِ بها ، فتؤثِّرُ في مَجْرَى الأفكارِ في كلِّ شعبٍ وقارَّةٍ. وتغيِّرُ من طابَعِ الأساليبِ المختلفةِ، وتطبعُها بروحِها الخاصِّ الذي جاءتْ به.

« جـ »

(١) قال الله تعالى في قصة يوسفَ وإخوته :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة يوسف)

(٢) وقال تعالى :

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(سورة يونس)

(٣) قال أحمد الصافي النجفي :

أحبَبْتُ صحرائي وإنْ هَي أجْدَبَتْ ... إذْ أنبتَتْ حُرِّيةً وصِعَابا
ولقدْ عَشِقْتُ من الجبالِ سُمُوَّها ... لوْ لم تقفْ دونَ الفضاءِ حِجَابا

(*) **توفيق الحكيم** : كاتب مصري معاصر، اشتهر برواياته وتمثيلياته، وأسهم في كتابة المقالات.

ملاحظـــات

(أ) تأملي الجمل التي تحتها خط في المجموعة الأولى، فسوف تلاحظين أنها جمل خبرية، وأنها خلت من أدوات التأكيد، وأهمها «إنّ» في الجمل الاسمية، و«قد» في الجمل الفعلية، والقَسَم ولام التوكيد في الجمل الاسمية والفعلية على السواء.

وإذا نظرت إلى سياق كل جملة، لاحظت أن الخبر يُلقَى إلى خالي الذهن عنه، كما يفهم من الاستفهام المحكيّ في الآية الأولى: «يسألونك ماذا ينفقون» . وكذلك فإن مجئ الخبر على هذه الصورة يشعر السامع بأن الأمر المخبَر عنه يجب ألايكون محل شك أو خلاف، وذلك ظاهر في الحديث الشريف، وفي بيتي أبي العتاهية. ويسمى هذا الأسلوب في الإخبار: **الأسلوب الابتدائي أو الضرب الابتدائي** ـ أي أن القائل يبتدئ المخاطب بأمر هو خالي الذهن عنه.

(ب) ثم تأملي الجمل التي تحتها خط في المجموعة الثانية، فسترين أنها أُكِّدت بمؤكد واحد. وإذا لاحظت السياق في آيتي «الأعراف» و«المائدة» وجدت أن الجملة المؤكدة مسبوقة بما يدل على خلاف معناها، فكأن المخاطبين قد وقعوا في حيرة وشك من هذا الزعم فهم **طالبون** لتأكيد صحة المعنى أو خطئه.

وربما وجد القائل أن الخبر محتاج إلى أن يؤكَّد بمؤكِّدٍ واحد، لأن في كلامه السابق أمراً يمكن أن يثير لدى السامع نوعاً من الشك أو التساؤل، كما في بيتي ابن المعتز.

وربما بُدِئَت الجملة الاسمية بإن «أو الجملة الفعلية بقد» إشعاراً بأن في معنى الجملة شيئاً من الغرابة يستدعي مزيداً من الانتباه، كما لو كان السا مع متردداً فيه. والكتّاب المحدثون على الخصوص يميلون إلى هذا الاستعمال، كما ترين في النموذج الرابع.

ولما كان هذا الأسلوب مبنياً على تردد السامع أو شكه في الخبر، والتردد أو الشك يجعلانه **طالباً** لتأكيد الخبر، سُمِّيَ **بالأسلوبِ الطلبي أو الضرب الطلبي**.

(جـ) أما نماذج القسم الثالث، فتحتوي على جمل خبرية مؤكَّدة بمؤكِّدين أو ثلاثة. والسياق في الآيتين الكريمتين يدل على أن موقف المخاطبين هو الإنكار البات، أو الرفض القاطع، فإخوة يوسف يقولون لأبيهم: «يا أبانا مالك لا تأمنَّا على يوسف» فهم يعلمون أنه يتهمهم بسوء النية.

والكفار يسألون الرسول ﷺ: «أحق هو؟» وهو سؤال يحمل في طياته التكذيب والاستهزاء، ولذلك جاء الجواب في جملتين خبريتين: الأولى تؤكد أنه حق بمؤكدات ثلاثة: القَسَم، وإن، واللام، والثانية مؤكدة بمؤكد واحد وهو الباءالمؤكدة للنفي، ولكنها تحمل معنى الوعيد.

أما النموذج الثالث فهو لشاعر معاصر، والشعراء المعاصرون يفكرون في انفعالاتهم الخاصة أكثر مما يفكرون في مخاطبيهم، فكأنما المخاطَب هو الشاعر نفسه. ولعلك تلاحظين هنا أن الشاعر يعبر عن حالة من القلق النفسي، فكأنما هو يسأل نفسه ويردّ عليها.

وبما أن هذا الأسلوب يجيءُ في العادة رداً على مخاطَبٍ منكرٍ للخبر، فإنه يسمى **بالأسلوب الإنكاري أو الضرب الإنكاري.**

فالجمل الخبرية تأتي على ثلاثة أضرب:

١ ـ ضربٌ خالٍ من أدوات التأكيد، إذا كان المخاطب خالي الذهن عن الخبر، ويسمى هذا الضربُ الضربَ الابتدائي أوِ الأسلوبَ الابتدائي.

٢ ـ وضربٌ مؤكَّدٌ بمؤكِّدٍ واحد، إذا كان المخاطَبُ متردداً في قبول الخبر، طالبًا لتأكيده، ويسمى هذا الضربُ الطلبيَّ أو الأسلوبَ الطلبيَّ.

٣ـ وضربٌ مؤكَّد بمؤكِّدٍ أومؤكدين أو ثلاثة، إذا كان المخاطَبُ منكراً للخبر، ويسمى هذا الضربُ الضربَ الإنكاريَّ أو الأسلوبَ الإنكاري.

نـمـاذج لاختـلاف أضـرب الخـبر

لاحظي اختلاف أضرب الخبر في الجمل المشار إليها من النصوص الآتية، وفسرِّي ذلك.

(١) **قال حافظ إبراهيم** يذكر موت رفاقه:

مَنْ كانَ يسألُ عن قومي فإنهمُ ... **ولَّوْا سِراعًا** وَخَلَّوا ذلكَ الوَاني

إني **مللتُ وُقوفي كلَّ آونةٍ** ... أبكي وأنظمُ أحزانًا بأحزانِ

(٢) **قال أحمد الصافي النجفي:**

سخِرَ البعضُ من حياتي، وإنِّي ... **مثلهُم منْ حياتي اليومَ ساخِرْ**

إنَّ شِعْري لتسلياتُ عَليلٍ ... أرغمَتْهُ على الخمولِ المقادِرْ

(٣) **كتب عباس محمود العقاد** عن الجيشِ الذي أعدَّه رسولُ الله ﷺ بقيادة أسامةَ ابن زيدٍ لغزو الشام، وانتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى الرفيقِ الأعلى قبل خروج الجيش، فأنفذَهُ أبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ فقال:

بعثةُ أسامة، وما بعثةُ أسامة؟ **يستصْغِرُها بعضُ المؤرخين المُحْدَثين**، ويقولون إنها من نوافلِ البعثات، لأنها بدأتْ وانتهتْ بغيرِ فتحٍ وبغيرِ ثمرةٍ، وبغيرِ حظٍ كبيرٍمن الغنائمِ ، وتُلْجِئُ إليهِ ضرورةٌ من الضرورات.

وإنهمْ لمخطئون. وإنَّ الصِّدِّيقَ لعلى صوابٍ. (عن : عبقرية الصديق)

(٤) **كتب عليٌّ الطنطاوي** في قصةِ رجلٍ سمرقنديٍّ، قَدِمَ إلى دمشقَ ليعرِضَ قضيتَهُ على الخليفةِ عمرَ بنِ عبد العزيزِ، وسألَ عن دارِ الخليفةِ فدلَّهُ عليها أحدُ أهلِ البلد:

هذهْ ؟ أيمكنُ أن تكونَ دارُ الخليفة دونَ دورِ السوقَةِ منْ رعيَّته؟

ونظر إلى الرجلِ يحسبُهُ يسخرُ منهُ فرآهُ جاداً، فتركَهُ وتقدَّمَ من البابِ وهوَ شاكٌ فيما قالَ الرجلُ. ونظر فرأى رجلاً يُصْلِحُ بالطينِ جدارَ المنزلِ وامرأة تعجِنُ ، فتركَ البابَ ولحقَ بالرجلِ مَغيظًا مُحْنَقًا فقالَ له:

ـ ما كانَ لكَ أنْ تكذِبَ عليّ وتسخَرَ مني. أسألُكَ عن دارِ الخليفةِ فترشدُني إلى دارِ طيَّانٍ؟ .. ووصفَ له ما رأى. فقالَ الرجلُ:

ـ **وَيْحَك ! هذا** واللهِ أميرُ المؤمنين الذي ليسَ فوقَهُ إلا الله. **وهذهِ المرأةُ زوجةُ الخليفةِ عمرَ** وبنتُ الخليفة عبدِ الملكِ، وأختُ الخليفتين وليدٍ وسليمانَ.

مضي السمرقنديُّ نحوَ دارِ الخليفة، يتعثَّرُ في مِشْيَتِه ، يقدِّمُ رِجلاً ويُؤخرُ أخرى ؛ واستقرَّ في نفسِهِ أنَّ الرجلَ يسخرُ به، فعدا وراءَهُ حتى لحقَهُ وقالَ له:

ـ ناشدْتُكَ اللهَ أيُّها الرجلُ، هلْ هذه دارُ الرجلِ الذي أوْرَثَتْهُ شريعةُ القرآنِ تيجانَ الملوكِ الأربعة: كسرى وقيصر وفرعون وخاقان.

(عن كتاب: قصص من التاريخ ـ قصة سمرقند ـ بتصرف)

الأمـــرُ والنـهـيُ

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾ (سورة التوبة)

(٢) وقال تعالى :

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠ ﴾ (سورة الأنعام)

(٣) وقال تعالى :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠ ﴾ (سورة إبراهيم)

(٤) وقال تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ ﴾ (سورة الشعراء)

(٥) وقال تعالى حكاية عن صالحٍ عليه السلام في خطابه لقومه :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

(سورة الشعراء)

(٦) **قال قطريُّ بنُ الفَجاءَة**(*) :

أقولُ لَها وقدْ طارَتْ شُعاعًا(١) مِنَ الأبطالِ وَيْحكِ لن تُراعِي

فصبرًا في مجالِ الموتِ صبرًا فَما نَيْلُ الخلودِ بِمُسْتَطَاعِ

(٧) **قال حافظ إبراهيم** على لسانِ اللغة العربية تخاطب بنيها :

فلا تَكِلوني للزمانِ، فإنني أخافُ عليكُمْ أنْ تحينَ وفاتي

(٨) **قال إيليا أبو ماضي** :

يا أخي! **لا تَملْ بوجهِكَ عني!** . ما أنا فحمةٌ ولا أنتَ فَرْقَدْ(٢)

ملاحظـــات

أولاً ـ فيما يتعلقُ بالصِّيغ :

تلاحظين من النماذج السابقة أن هناك عدة صيغ للأمر :

أ ـ فهناك فعل الأمر، كما في قوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار »

وقوله تعالى : « واعلموا أن الله مع المتقين » .

ب ـ وهناك الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، كما في قوله تعالى :

« وَلْيَجِدُوا فيكم غِلْظة »

(*) **ابن الفجاءة** : من شعراء الخوارج وفرسانها في العصر الأموي .

(١) الضمير في « لها » يشير إلى نفس الشاعر، و« طارت شعاعًا » أي اضطربت وتفرقت من شدة الجزع .

(٢) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به .

جـ ـ وهناك المصدر النائب عن فعل الأمر، كما في قول قطريّ: «فصبراً في مجال الموت صبراً».

أما النهي فليس له إلا صيغة واحدة، وهي الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية.

ثانيًا: فيمايتعلق بالمعاني:

المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من **الأمر، هو طلب الفعل من كبير إلى صغير. والنهي بعكسه**، أي طلب ترك الفعل من كبير إلى صغير، وعلى هذا معظم الأوامر والنواهي في القرآن الكريم، كما في النموذج الأول.

ولكن الأمر والنهي قد يخرجان إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق. فمن هذه المعاني:

أ ـ الدعاء: كما في قوله تعالى: «رَبِّ هَبْ لي حكماً وألحقني بالصالحين».

ب ـ التحقير: كما في قوله تعالى: «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»

جـ ـ التهديد: كما في قوله تعالى: «تمتعوا فإن مصيركم إلى النار».

د ـ النصح: كما في قوله تعالى حكاية عن خطاب صالح عليه السلام لقومه:

«فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين»

وكما في بيت قطري، وبيت حافظ إبراهيم.

هـ ـ السخرية: كما في بيت إيليا أبو ماضي «النموذج الثامن»

وقد أوردنا هذه الأغراض على سبيل التمثيل لاالحصر. فقد يخرج الأمر والنهي عن غرضهما الأصلي إلى أغراض أخرى غير ما ذكرناها. وإنما نتبين هذه الأغراض من سياق الكلام ومناسبة القول، وفي النماذج التالية مجال لتدريب الذوق على إدراك الأغراض التي يخرج إليها الأمر والنهي، ومن الأغراض ما أوردنا ذكره فيما سبق، ومنها ما لم نذكره.

أمـثلة أخـــــــــــرى

لبعض الأغراض التي يخرج إليها الأمر والنهي

(١) قال الله تعالى في قصةِ موسى عليهِ السلامُ :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

(سورة يونس)

(٢) وقال تعالى في قصة نوحٍ عليه السلامُ :

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة هود)

(٣) وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة إبراهيم)

(٤) وقال تعالى :

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾

(سورة الإسراء)

(٥) وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام :

﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾

(سورة طه)

(٦) قال البحتري يمدحُ:

فَاسْلَمْ أميرَ المؤمنينَ مُمَتَّعًا بَتَتَابُعِ الآلاءِ والإِنعامِ

(٧) وقال ابنُ زيدون(*):

تِهْ أحْتَمِلْ، واسْتَطِل أصْبِرْ، وعِزَّ أَهُنْ وَوَلِّ أُقْبِلْ، وَقُلْ أَسْمَعْ، وَمُرْ أُطِعِ

(٨) وقال الشاعرُ القرويُّ (رشيد سليم الخوري)(**):

جودُوا على صاحبِ المليونِ وارْتَدِعُوا عِنْ عَذلِهِ فأَشدُّ الفاقةِ الطَّمَعُ

(*) **ابن زيدون**: أحد أعلام الشعر في الأندلس، في القرن الخامس الهجري.

(**) **القروي**: أحد كبار الشعراء المعاصرين في المهجر الجنوبي.

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى في قصةِ إبراهيم عليهِ السلامُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾

(سورة البقرة : ٢٦٠)

- وقال تعالى :

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(سورة يونس)

- وقال تعالى في حكاية خطاب الملائكة للكفار الذين يُعَذَّبونَ في النار :

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ﴿٤٩﴾ ﴾

(سورة الأعراف)

- وقال تعالى إشارة إلى الجنة :

- ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة الصافات)

وقال تعالى في قصة ثمود قوم صالح عليه السلام :

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة القمر)

(٢) قال الله تعالى في قصةِ موسى عليهِ السلامُ:

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة القصص)

(٣) قال الله تعالى في قصةِ يعقوب عليهِ السلامُ:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

(سورة البقرة)

■ وقال تعالى:

﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ ﴾

(سورة القارعة)

(٤) قال الله تعالى في قصةِ إبراهيم عليهِ السلامُ:

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

(سورة الأنبياء)

(٥) وقال تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾

(سورة مريم)

■ قال تعالى :

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(سورة الجاثية)

(٦) قال الله تعالى في قصةِ أصحاب الكهف :

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة الكهف)

(٧) وقال تعالى في شأن الأمم المكذِّبة :

﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة الحج)

(٨) قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

(٩) وقال تعالى في قصة السيدة مريم :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

■ وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

(١٠) قال الله تعالى في حكاية قول الكافرين :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

(سورة يونس)

(١١) وقال الله تعالى في حكاية قول الكافرين :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾

(سورة النازعات)

من هذه النماذج نرى :

أنَ أدواتِ الاستفهام حرفان وتسعةُ أسماء .

الحرفان هما : الهمزة وهل . ومعنى كونهما حرفين أنهما لمعنى الاستفهام فقط ، بخلاف أسماء الاستفهام التي سيرد ذكرها . ولذلك فإن الاستفهام بهما يكون عن معنى الجملة ، أي عن صحة الإسناد الذي تعبر عنه الجملة الخبرية . ويكون الجواب عنهما إما «بنعم أو بلى» ، أي بالإقرار بصحة الإسناد ، وإما «بلا» ، أى بنفيها . وتتميز الهمزة عن هل بما يلي :

(أ) أن الهمزة يمكن أن يُطلب بها التعيين . ويليها في هذه الحالة « أم » ، كما في قوله تعالى «**أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم**» .(٦٢) سورة الصافات .

فالسؤال في الآية الكريمة لا يزال عن الإسناد ، ولكن المسؤول عنه هو تعيين أحد طرفي الإسناد المذكورين : أيهما خير ، أهو ما ذكر في الآيات السابقة من نعيم الجنة ، أم ما يذكر الآن من شجرة الزقوم وثمرها الذي يشبه رؤوس الشياطين ؟

(ب) ويتبع ما سبق أن **الاستفهام بالهمزة يناسب حالة المتردد أو المكذِّب** ، لأنه ليس بخالي الذهن عن فكرة الإسناد ، ولكنه متردد في قبول جانب من جوانبه ، وذلك واضح في آية سورة يونس :

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ (يونس : ٥٣)

وآية سورة القمر: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ (القمر : ٢٤)

(جـ) وفي كل حال يلي الهمزة المستَفْهَمُ عنه: فإذا كان السؤال عن أصل الإسناد وَلِيَها الفعل، وإذا كان الاستفهام عن جانب من جوانبه ولِيَتْها الكلمة الدالة عليه. سواء أكانت اسماً أم فعلاً ـ كما في النماذج السابقة ـ أم شبه جملة كما في قوله تعالى:

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(سورة إبراهيم : ١٠)

والأسماء هي:

(١) ما : ويُطلَبُها تحديد حقيقة المستفهم عنه. وعلى هذا المعنى جاءت حكاية رَدّ الكفار في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾

(سورة الجاثية : ٣٢)

أى لا نعلم حقيقتها.

(٢) مَنْ: وَيُطْلَبُ بها تعيين المستفهم عنه (العاقل) بالاسم أو الصفة.

(٣) أيّ: ويُسْأَلُ بها عن تعيين واحد مما أضيفت إليه. وهي تضاف غالبًا إلى مفرد مُنَكَّر، أو إلى مثَنى أو جمع معَّرفين، والأول يدل على العموم، والأخيران يدلان على الاشتراك. وإذا أضيفت إلى جمع منكَّر ـ وهذا أقل ـ فالمعنى : أي نوع؟ كما تقولين: أيَّ كتب تحبين أن تقرئي؟ المعنى: أيَّ نوع من الكتب.

(٤) كم : ويُسألُ بها عن العدد .

(٥) كيفَ : ويُسألُ بها عن الحال .

(٦) أينَ : ويُسألُ بها عن المكان .

(٧) أنَّى : وتكونُ تارة بمعنى «مِنْ أين ؟» وتارة بمعنى «كَيْفَ ؟» .

(٨ ـ ٩) متى وأيان : ويسأل بهما عن الزمان . ويرى بعض النحويين أن « **أيان** » تُستعملُ في مواضع التضخيم خاصة .

هذه هي أدوات الاستفهام ، وهذه استعمالاتها الأصلية . غير أن الاستفهام نفسه ربما خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب المعرفة، إلى معان أخرى يدل عليها السياق . وإذا لم يدرك السامع أو القارئ هذه المعاني، فاته غرض القائل من الاستفهام . وسنعرض أمثلة من هذه المعاني في الدرس القادم إن شاء الله .

الاستهامُ ـ المعاني التي يخرج إليها

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى في قصة السيدة مريم :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة مريم)

(٢) وقال تعالى :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة البقرة)

(٣) وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾

(سورة الأنبياء : ٣٦)

(٤) وقال تعالى في حكاية الكفار :

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

(سورة الإسراء)

(٥) قال تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(سورة الأعراف)

(٦) وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

(٧) وقال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(سورة البقرة : ٢١٤)

(٨) وقال تعالى :

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

(سورة التوبة)

(٩) وقال تعالى :

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة القارعة)

-

إذا تأملت النماذج السابقة وجدت الاستفهام فيها قد خرج عن معناه الأصلي وهو طلب الإخبار عن شيء إلى أغراض أخرى تتصل بانفعالات نفسية.

فعلى رأس هـــذه الأغـــراض: **التعـجـــــب**. وترينـــه في الآية الكـــــريمة الأولى:

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ مريم

كما ترينه **مقترنًا بالتوبيخ** في الآية الكريمة الثانية: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ الآية. (٢٨)

ومقترنًا بالاستهزاء في الآية الكريمة الثالثة: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ الأنبياء (٣٦)

ومقترنا بالإنكار في الآية الكريمة الرابعة: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾. الإسراء (٤٩)

وفي آية ســـورة الأعـــراف (النـموذج الخامـــس) تقـرئين معنى **الوعـيـد** في قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾. الأعراف (٥٣)

كما تجدين معنى **التمنى** في سؤال الكفار:

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾

ومن الأغـــراض التي يخـــرج إليها الاستفـــهام **التقـــــرير**، كما في النـموذج الســـادس ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ ويمكنك أن تلاحظي أن التقرير هنا مقترن بالتوبيخ.

وقد يدل الاستفهام على معنى **الاستبطاء** كما في قوله تعالى في حكاية عن قول الرسول والمؤمنين: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ (النموذج السابع).

ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام أيضًا: **الاستحثاث**، كما في النموذج الثامن، **والتهويل**، كما في النموذج التاسع.

وقد تجدين أغراضًا أخرى يخرج إليها الاستفهام غير ما ذكر، كالاستبعاد، والنفي والتشويق والتعظيم، والتحقير. والسياق هو الذي يحدد المعنى في كل حالة.

* * *

نماذج الاستفهام البليغ

تحدد الطالبة فيها أداةَ الاستفهام، وما يُسْتَفْهَمُ عنه، والغرضَ من الاستفهام:

(١) قال الله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

(سورة النساء)

(٢) وقال تعالى في قصة شعيب عليه السلام:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

(سورة الأعراف)

(٣) وقال تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

(سورة يونس)

(٤) وقال تعالى:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾

(سورة يونس)

(٥) وقال تعالى في قصة سبأ :

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾

(سورة سبأ)

(٦) عن أبي بَكْرَةَ نُفَيع بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ :

«إنَّ الزمانَ قَدْ استدارَ كهيئتهِ يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ. السنةُ اثنا عشرَ شهراً، منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثٌ متواليَاتٌ: ذو القعدةِ، وذو الحجةِ، والمحرَّم، ورجبُ مُضَرَ الذي بين جمادى وشعبان. أيُّ شهر هذا؟

قُلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ. فسكَتَ حتى ظننّا أنهُ سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسمِهِ. قالَ:

أليسَ ذا الحجة؟ قلنا: بلى.

قالَ: أيُّ بلدٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. فسكتَ حتى ظننّا أنه سيسميهِ بغيرِ اسمهِ.

قالَ:

أليسَ البلدَ الحرامَ؟ قُلنا: بلى. قالَ: فأيُّ يومٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ فسكتَ حتى ظننّا أنهُ سيسميهِ بغيرِ اسمِهِ. قالَ:

أليسَ يومُ النَّحْرِ؟ قلنا: بلى. قالَ:

فإنَّ دماءَكُم وأموالَكُم وأعراضَكُم عليكُم حرامٌ كحُرمَةِ يومِكُمْ هذا، في بلدِكُم هذا، في شهرِكُم هذا، وستَلْقَوْنَ ربَّكُمْ فيسألُكُمْ عنْ أعمالِكُم، ألاَ فلا ترجعُوا بعدي كفّاراً يضربُ بعضُكُمْ رقابَ بعضٍ، ألا ليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، فلعلَّ بعضَ من يُبَلَّغُهُ أنْ يكونَ أوعى لهُ من بعضِ من سَمِعَهُ. ثم قالَ: ألا هلْ بَلَّغتُ؟ ألا هل بَلَّغتُ؟ قلنا: نعم. قالَ: اللهم اشْهَدْ».

متفق عليه.

(٧) قال البحتري:

وأخٍ رابني فأضربْتُ عنه أيُّ إخوانِكَ الذي لا يَريبُ؟

(٨) وقال حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدُّرُّ كامِنٌ فهل ساءلوا الغَوّاصَ عن صَدَفاتي؟

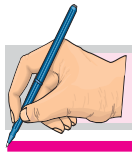

جربي قلمك

التقيتِ بإحدى صديقاتِكِ بعدَ غَيْبةٍ طويلةٍ. أجْري حواراً بينَكُما واستخدمي فيه عدداً مِنْ أدواتِ الاستفهام في أغراضِها الأصلية، وبعض أغراضِها الإضافية.

التمني

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى في سورة النساء :

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

(٢) وقال تعالى في سورة مريم :

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

(٣) وقال تعالى في سورة القصص :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

(٤) وقال تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(٥) و قال تعالى في سورة المنافقون :

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

(٦) وقال تعالى في حكاية كلام صالح ـ عليه السلام ـ لقومه في سورة النمل :

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

(٧) وقال تعالى في سورة الأحقاف :

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

ملاحظـــات

يُدَلُّ على التمني غالبًا بالحرف الناسخ « **ليت** » كما ترين في النماذج الثلاثة الأولى. **والتمني معناه الرغبة الشديدة في أمر يُستبعد حصوله** ؛ سواء أكان مستحيلاً كما في النموذجين الأول والثاني، لكونه متعلقًا بأمر قد مضى وانتهى، أم كان بعيد الاحتمال كما في النموذج الثالث. ويمكنك أن تلاحظي أن استعمال حرف التمني هنا قد خرج عن معناه قليلاً، ليدل على طلب أمر ممكن عقلاً، وإن كان مما لا يتوقع حصوله عادة.

وهناك حروف أخرى ـ غير ليت ـ تستعمل في التمني ، مع أن معناها غالبًا شئ آخر، لتفيد فائدة بلاغية، فمن الحروف «**هل**» الاستفهامية، وقد مرت في باب الاستفهام، وفائدتها إبراز الأمر المستبعد في صورة المطلوب المتوقَّع حصوله، كقول الكفار يوم يأتي حسابهم: «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟» وتشبه «هل» في ذلك «**لعل**» كما في النموذج الرابع، إذ إن الأصل في «لَعَلَّ» أن تستعمل في أمر متوقع حدوثه.

ومن هذه الحروف أيضًا «**لولا**» (ومثلها «**لوما**» وترين استعمالها للتمني واضحًا فى النموذج الخامس، والأصل فى «لولا» و«لوما» أن تستعمل في التحضيض (أي الحَثّ على الفعل) أو العَرْض. (أي طلبه بطريقة مؤدبة) بشرط أن يليها الفعل المضارع (كما في النموذج السادس) فإذا وليهما الفعل الماضي دَلَّتَا على معنى التوبيخ أو التنديم (كما في النموذج السابع).

ففي هذه النماذج الثلاثة الأخيرة دل استعمال «لولا» في التمني على تأكيد الطلب أو على التبكيت.

فالخلاصة: أن التمني يُدَلُّ عليه عادة بالحرف «ليت»، وقد يكون الأمر المتمنَّى ممكنًا عقلاً، وإن كان مستبعدًا في العادة. وإذا أريد إبراز الأمر المستبعد أو المستحيل في صورة الممكن لإفادة معنى الحسرة، فقد يستعمل لهذا الغرض حرف الاستفهام «هل» أو حرفا التحضيض والتنديم «لولا» و«لوما».

نـمـاذج لأسـلـوب التمـني

تبين فيها الطالبة أداة التمني ومعناه

(١) قال الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾

(سورة النبأ)

(٢) وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾

(سورة غافر : ٣٧)

(٣) وقال تعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة هود)

(٤) وقال تعالى في حديث الإفك :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾

(سورة النور)

(٥) وقال تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(سورة الحجر)

القسم الرابع
في علم البديع

الطبـاق والمقابلـة

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

(٢) وقال تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة)

(٣) وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة الليل)

(٤) قال رسول الله ﷺ :

«إنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليصدقُ حتى يُكْتَب عندَ اللهِ صديقًا . وإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدى إلى النار، وإنَّ الرجلَ ليكذبُ حتى يكتبَ عندَ اللهِ كذَّابًا» .

متفق عليه .

(٥) قال أبو العتاهية :

يا حسْرتَا منْ يومٍ يَجْمعُ شِرّتي[1] كَفَنٌ ولحدُ
ضيَّعْتُ ما لا بدَّ لي منهُ بما لي منهُ بُدُّ

(٦) قال أبو الطيب المتنبي :

ولمْ أرَ في عيوبِ الناسِ عيْباً كَنقصِ القادرينَ على التَّمامِ

ملاحظات

مَرّ بك في القسم الأول أن فنون البديع تعتمد على التناسق، وأن التناسق يمكن أن يرجع إلى التضاد كما يرجع إلى التماثل. وسوف تعرفين في هذا القسم أربعة فنون بديعية، أحدها ـ وهو الفن الذي نحن بصدده الآن ـ يقوم على التضاد، والثلاثة الباقية تقوم على التماثل.

ولعلك تدركين هذا التضاد بسهولة من النموذج الأول، ففيه فعلان ، أو على الأصح صيغتان من فعل واحد، الأولى منهما نهي والثانية أمر: « فلا تخافوهم وخافون » وشبيه بذلك أن تجئ الجملة مثبتةً مرة ومنفية مرة أخرى: كما في قول أبي العتاهية:

ضيَّعْتُ ما لابدَّ لي منهُ بما لي منهُ بُدُّ

ويسمى هذا النوع من التضاد «**طباق السلب**» والسلب معناه النفي. ويقابله «**طباق الإيجاب**» وتجدينه فى سائر النماذج التي وردت عليك، وحيث تجدين التضاد بين: « يأمرون وينهون، والمعروف والمنكر» ، فى قوله تعالى: « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»، وبين

---

(١) حِدَّتي واندفاعي.

« الليل والنهار، ويغشى وتجلَّى » في قوله تعالى : « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى »، وبين « الذكر والأنثى » في قوله تعالى : « وما خلق الذكر والأنثى » .

وقيسي على ذلك الآيات من سورة الليل، ثم سائر النماذج التي أوردناها إليك .

وبعض البلاغيين يخصصون باسم **المقابلة** ذلك النوع من الطباق الذي يأتي فيه معنيان أو عدة معانٍ ، ويليها ما يضادها على الترتيب، كما في آية سورة التوبة، وآيات سورة الليل، وكما في الحديث الشريف (النموذج الرابع) .

فالطباقُ معناه : الجمعُ بينَ المتضادين في كلامٍ .

وما جاءَ منه بنفي أو نهي يُسمَّى طباقَ السلبِ ، وما جاءَ بغيرِ ذلك فهوَ طباقُ الإيجابِ .

و إذا اجتمعُ معنيانِ أوْ أكثرُ ،وتلاها ما يضادُّها على الترتيب فهذه هيَ المقابلةُ .

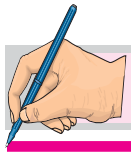

بلاغةُ الطِّباقِ والمقابلةِ

الطباق البليغ مجرد حِلْيةٍ لفظية . فالطباق يقوم على التضاد كما قلنا، والتضاد مبدأ هام في الفنون عامة ، وما ذلك إلا لأنه سنة من سنن الحياة، كما دَلَّت الآيات الكريمات : « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلَّى . وما خلق الذكر والأنثى » . ولذلك نجد في الطباق الجيد عمق المعنى . كما في النماذج السابقة، بعكس المتكلَّف الذي يفُتعَل فيه التضاد، وخاصة إذا اقترن بالمبالغة الممجوجة كما في قول أحد الشعراء يمدح :

من كان يعلم كيف رقةُ طبعِهِ هو مُـقْـسِمٌ أن الهـواء ثخينُ

نماذج من الطباقِ والمقابلة الجيدة

تتبينها الطالبة بنفسها

(١) قال الله تعالى :

﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠ ﴾

(سورة آل عمران)

(٢) وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ ﴾

(سورة النحل)

(٣) وقال تعالى فى قصة زكريا عليه السلام :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١ ﴾

(سورة مريم)

(٤) وقال تعالى :

﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ ٢٠ ﴾

(سورة لقمان)

(٥) وقال تعالى :

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤ ﴾

(سورة النجم)

(٦) قال رسول الله ﷺ :

«دعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ، فإنَّ الصِّدْقَ طُمَأنينةٌ، والكَذِبُ رِيبةٌ»

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

(٧) قال النابغةُ الجعدي(*)

فتىً تمَّ فيهِ ما يسرُّ صديقَهُ على أنَّ فيهِ ما يسوءُ الأَعاديا

(٨) وقال أبو تمام:

قدْ يُنعِمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عَظُمَتْ ويَبْتلي اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعَمِ

(٩) قال ابن المقرب:

فحتَّامَ أُبْدي للموالي تجنُّباً وَصَدّاً، وأُبدي للأعادي تَوَدُّدَا

(١٠) كتب أحمد حسن الزيات بُعَيْدَ نهايةِ الحرب العالمية الثانية:

«شيَّعَ الناسُ بالأمسِ عاماً، قالوا إنهُ نهايةُ الحربِ، واستقبلوا اليومَ عاماً يقولونَ إنهُ بدايةُ السِّلْمِ. وما كانتْ تلكَ الحربُ التي حسِبُوها انتهتْ، ولاهذهِ السلمُ التي زَعموها ابتدأَتْ، إلا ظُلْمةً أَعقبهَا عَمىً، وإلا ظلماً سَيَعْقُبُهُ دمارٌ».

(*) **الجعدي**: شاعر جاهلي أدرك الإسلام وحسن إسلامه.

السجع

نمـــــــاذج

(١) قال الله تعالى :

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

(سورة العلق)

(٢) وقال الله تعالى :

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ۝٩٩ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ۝١٠٠ ﴾

(سورة الإسراء)

(٣) وقال رسول الله ﷺ :

«**إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكُمْ عقوقَ الأمَّهاتِ ، ومنْعًا وهاتِ ، ووأْدَ البناتِ ، وكَرِهَ لكمْ قِيلَ وقال ، وكثرةَ السُّؤالِ ، وإضاعةَ المالِ**» متفق عليه .

(٤) كتب أبو الطيبُ الوشَّاءُ(*) :

اعلمْ أنَّ عمادَ الظَّرفِ عندَ الظُّرفاءِ، وأهلِ المعرفةِ والأدباءِ، حِفْظُ الجوارِ، والوفاءُ بالذِّمارِ، والأنفةُ منَ العارِ، وطلبُ السلامةِ منَ الأوزارِ. ولنْ يكونَ الظريفُ ظريفًا حتى تجتمعَ فيه خِصالٌ أربعُ : الفصاحةُ والبلاغةُ والعفّةُ والنزاهةُ .

(*) **أبو الطيب الوشّاء** : من أدباء القرن الرابع الهجري .

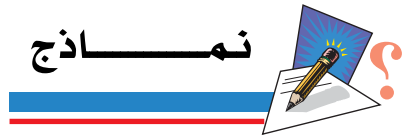

تمتاز النماذج السابقة بأن الكلمات التي يوقف عندها تتفق في الحرف الأخير. وقد تكون الوقفات متقاربة كما في آيات سورة العلق، وقد تكون متباعدة كما في آيتي سورة الإسراء. ويسمى هذا الاتفاق بالسجع، والكلمة سجعة، وتسمّى الجملة أو العبارة المنتهية بالسجعة «قرينة»(١). والقرينة قد تقصر أو تطول كما رأيت. ولايلتزم أن تتساوى القرائن. لأن السجع في النثر يشبه التقفية «اتفاق الحروف الأخيرة من الأبيات في الشعر)، فلوتساوت القرائن أيضاً لاقترب النثر من الشعر جداً، وطريقة الشعر غير طريقة النثر. وقد أولع الكتاب بالسجع منذ القرن الرابع، فتكلفوه في رسائلهم وكتبهم، إلى أن جاء العصر الحديث فقلَّت عناية الكتاب بالسجع، ثم هجروه هجراناً يوشك أن يكون تاماً، فقلما تقع اليوم على سجعتين لكاتب من الكتاب المعاصرين.

ولما فشا تكلُّف السجع من الكتاب، ذهب بعض علماء البلاغة إلى القول بأن اتفاق الحروف الأخيرة في كثير من آيات القرآن الكريم لا يعد سجعاً، ورأوا تسميتها «**فواصل**» واحتجوا بأمرين: أولهما أن الكلام المسجوع يُلْتَزم فيه تكرار الحروف الأخيرة كما تكرر القافية في الشعر، والقرآن الكريم لايلتزم ذلك، والأمر الثاني أن السجع يُخضع المعنى للّفظ، وقد تنزه القرآن الكريم عن هذا، إذ إن توافق الأحرف الأخيرة فيه لا يُقصد لذاته، بل يأتي تابعاً للمعنى.

ولكن جمهورَ علماءِ البلاغة لايُفرِّقون بين الفواصل والسجع، ويرون أن السجع الذي لا يفيد معنًى مَعِيبٌ حيث كان، ومثلوا لهذا السجع المعيب بقول الصاحب بن عباد(٢) في وصف مهزومين: «طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلابهم نحورهم» فليس في القرينة الثانية معنى زائد على القرينة الأولى.

فالسجع هو توافق الحروف الأخيرة في مواضع الوقف في النثر. والنفس تستريح إلى هذا التوافق إذا جاء غير متكلف، ولم يلتزم في القِطَع المطوّلة.

(١) على الطالبة أن تميز بين قرينة السجع وقرينة الاستعارة (راجعي باب الاستعارة).

(٢) **ابن عباد**: وزير أديب شاعر، ممن أولعوا بالسجع، عاش في القرن الرابع الهجري.

أمثلة أخرى من السجع

(على الطالبة أنْ تنظرَ في مناسبةِ اللفظ للمعنى)

(١) قال رسول الله ﷺ :

«شَرُّالناسِ مَنْ أكلَ وحدَهُ، ومَنعَ رِفدَهُ[١]، وضربَ عَبْدَهُ»

(٢) قال أبو عمرُو بن العلاء[*] :

«مِمَّا يَدُلُّ على حُرِّيَّةِ الرجلِ، وكرمِ غريزتِه، حنينُهُ إلى أوطانِه، وتشوُّقُهُ إلى متقدَّمِ إخوانه، وبكاؤُه على ما مضى من زمانِه».

(٣) كتب بديعُ الزمان الهمذاني :

«حدثني عيسى بنُ هشام قال: بينا أنا بمدينةِ السَّلامِ[٢] قافلاً من البيتِ الحرامِ، أميسُ[٣] مَيْسَ الرِّجْلَةِ[٤]. على شاطئِ الدِّجلةِ، أتأمَّلُ تلكَ الطرائف، وأتقصَّى تلكَ الزخارف، إذِ انتهيْتُ إلى حلقةِ رجالٍ مُزدحمينَ يلوي الطَرَبُ أعناقَهُمْ، ويشقُّ الضَّحكُ أشدْاقَهُمْ، فساقني الحرصُ إلى ما ساقَهُمْ، حتى وقفْتُ بمسمعِ صوتِ رجلٍ دونَ مرأى وجهِه، لشدةِ الهَجْمةِ وفرْطِ الزَّحمةِ، وإذا هو قَرّادٌ يُرْقصُ قِردَهُ، ويُضحِكُ مَنْ عِنْدَهُ.

(*) **ابن العلاء**: شيخ علماء البصرة في النصف الأول من القرن الثاني وأحد القراء السبعة.

(١) عطاءه.

(٢) بغداد.

(٣) أميل.

(٤) هي النبات المعروف.

الترصيع

من السجع ما يسمى «**الترصيعُ**» ، **وهو أن تتضمن القرينة الواحدة سجعتين أو سجعات**. كقول الحريري(*): «فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه»، والترصيع ظاهرُ التكلف في النثر، وربما وقع في الشعر ما يشبهه، فيزيد الشاعر على القافية التي تختم البيت سجعات تفصِّل أجزاءه، كقول أبي العتاهية:

الدهر ذو دُوَلٍ، والموتُ ذو عِللٍ والمرءُ ذو أملٍ، والناسُ أشباهُ
ولم تَزَلْ عِبَرٌ، فيهن مُعْتَبَرٌ يجري بها قدرٌ، واللهُ أجراهُ

وموسيقية الشعر تجعله أكثر تقبلاً لهذا التوافق الصوتي من النثر.

(*) **الحريري**: من أدباءالقرن الخامس الهجري، التزم السجع في «مقاماته» المشهورة، وهي لون من القصص القصيرة بطلها أديب يجوب الآفاق ويحتال لكسب الرزق.

نمـــاذج

تبين الطالبة ما فيها من الترصيع

(١) قالت الخنساء(*) ترثي أخاها صخراً :

حامِي الحقيقةِ،محمودُ الخليقةِ مَهـ ـديٌّ الطريقـــةِ نَفَّـــاعٌ وضَـــرّارُ

(٢) وقالت ليلى الأخيلية(**) :

وقـدْ كـانَ مـرهوبَ السنانِ وبَيِّـنَ الْـ ـلِسـانِ ومِخْذامَ السُّرى(١) غيـرَ فاتِرِ

(٣) وقال ذو الرّمة (***) :

نجلاءُ(٢) في بَرَجٍ(٣) صفراءُ في نَعَجٍ(٤) كـأنهَّـا فـضـةٌ قـدْ مـسَّـهـا ذَهَبُ

(٤) وكتبَ الصاحبُ بن عباد :

« هلْ من حقِّ الفضلِ أن تهضِمَه شغفًا ببلدتِكَ، وتظلِمَه كلفًا بأبناءِ جلدتِكَ » ؟ .

(*) **الخنساء** : أشهر النساء الشاعرات في الأدب العربي . عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأسلمت وحسن إسلامها .

(**) **ليلى الأخيلية** : شاعرة عاشت في العصر الأموي .

(***) **ذو الرمة** : من مشهوري الشعراء في العصر الأموي، عاش في البادية وتفوق في وصفها وقصَّر في المديح .

(١) لا يكل السفر ليلاً .

(٢) واسعة العينين .

(٣) أن يحيط بياض العينين بسوادهما فلا يختفي منه شيء .

(٤) صفاء .

الجنـــاس

نمـــــــاذج

(أ)

(١) قال الله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

سورة الروم)

(٢) قال المعتمدُ بن عباد(*) يرثي ولديه أبا خالد وأبا نصر :

أبا **خـــالد** أورثْتَني الهمَّ **خـــالدا** أبا **نَصْرَ** مذْ ودَّعْتَ فارقَني **نَصْري**

(٣) قال البهاءُ زهيرُ يذكُرُ الشيبَ والكِبَرَ :

وأظلُّ أقـــــــرعُ دائـــمـــــــاً **سِنّي**(٢) إذا حـــــقـــــقْتُ **سِنّي**

(٤) قال حافظُ إبراهيم في الوصفِ والدعابة :

لي كـــســـاءٌ أَنْعِمْ به مِنْ **كـــســـاءِ** أنا فيهِ أتيهُ(٣) مثلَ **الكِسائي**(**)

(ب)

(١) قال تعالى في شأن الكفار وإعراضِهم عن القرآن :

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

(*) **ابن عباد** : شاعر ملك، من ملوك الطوائف بالأندلس، عاش في القرن الخامس الهجري ومات في المنفى .

(**) **الكسائي** : شيخ نحاة الكوفة في القرن الثاني الهجري .

(١) **يؤفكون** : يصرفون عن الإدراك السليم . (٢) **قرع السن** : كناية عن الندم . (٣) أختال وأتبختر .

(٢) قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(سورة الأعراف)

(٣) قال رسولُ الله ﷺ:

«**إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلاَّ زانَهُ، ولايُنْزَعُ من شيءٍ إلاَّ شانَهُ**[١]»

(٤) قال ابن المعتز:

ألا يا نفْسُ إن تَرْضَيْ بعونٍ ... فأنت عزيزةٌ أبداً غَنيَّهْ
دعي عَنْكِ المطامعَ والأماني ... فكمْ **أمنيَّةٍ** جلَبَتْ **منيَّه**[٢]

(٥) وقال شوقي يصفُ البيتَ الحرام:

دارٌ عليها مَيْسَمٌ[٣] من **القدَمْ** ... حجَّتْ على أولِ خُفٍ **وقدَمْ**
مهدُ الهدى في الأوَّلين ركنُها ... **وحصنُه** في الآخرين **صحْنها**

ملاحظات

تجدين في النماذج التي أمامك **كلمات متشابهة في اللفظ، مختلفة في المعنى**، وهذا اللون من التماثل يسمى «**الجناس**»

وإذا قارنت بين نماذج المجموعة «أ» والمجموعة «ب» لاحظت أن التشابه اللفظي **تام** في المجموعة الأولى، **ناقص** في المجموعة الثانية، ونقص الجناس يكون باختلاف بعض الحروف

---

(١) عابه.
(٢) موت.
(٣) أثر وعلامة.

(مثل : ينهون وينأون، زانه وشانه) أو بزيادة بعض الحروف (مثل : أمنية ومنيَّة) أو باختلاف شكلها (مثل: قِدَم وقَدَم) أو باختلاف ترتيبها (مثل: حصن وصحن) .

ويدخل في الجناس كل تشابه واضح في اللفظ، سواء أكانت الكلمتان من أصل واحد، مثل: حقيق وحق، أم من أصلين مختلفين، مثل: مهد، وهدى

فالجناس هو تشابه كلمتين أو أكثر في اللفظ دون المعنى. وهو قسمان: تام وناقص.

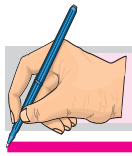

بلاغة الجناس

سر جمال الجناس كما يقول عبد القاهر الجرجاني شيخ علماء البلاغة، أن الكلمة الثانية ترد عليك وظاهرها أنها تكرار للكلمة الأولى، فإذا تأملت معناها عرفت أنها كلمة جديدة، فكأنك تحصل على كسب لم تكن تتوقعه.

ومعنى كلام عبد القاهر أن التجنيس لا يكون مقبولاً إلا إذا أفاد معنى مقبولاً ، ولذلك عيب على بعض الشعراء قوله يمدح:

ولو رأى هَرِمٌ(*) معشارَ نائِلِه(١) لَقيلَ فى هَرِمٍ قدْ جُنَّ أوْ هَرِما

كما عيب على أبي تمام قوله:

ذهبتْ بمذهبِهِ السماحةُ فالْتَوَتْ فيه الظنونُ أمُذْهَبٌ أم مَذْهبُ

فقد تكلف كلا الشاعرين معنى سخيفًا ليأتى بلفظين متجانسين، أي أن المعنى هنا جاء تبعًا للفظ، وهذا هو العيب الذي تورط فيه من تكلفوا البديع بوجه عام، كما رأينا من أمثلة المقابلة الرديئة والسجع الرديء.

(*) هرم بن سنان : أحد أجواد العرب المشهورين. وقصائد زهير بن أبي سلمى من أجود شعر المدح.

(١) نائله : عطاؤه.

أمثلة أخري من الجنـــاس

تبين الطالبة في هذه الأمثلة الكلمتين المتجانستين، ومعنى كل منهما، وقيمة الجناس في نظرها:

(١) قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ (سورة الروم : ٣٠)

(٢) قالت الخنساء:

إنَّ البكاءَ هوَ الشفاءُ من الجوى بينَ الجوانِح

(٣) قال أبو العلاء المعري:

والحسنُ يَظْهرُ في شيئينِ رونقُهُ بيتٍ من الشَّعْرِ أوْ بيتٍ من الشِّعْرِ

(٤) قال البهاءُ زهير:

أرى قوماً بُليتُ بهم نَصيبي منهمُ نَصَبِي

(٥) وقال الهيثمُ بن أبي الهيثم(*):

أطِرْفٌ(١) فاتَ طَرْفي(٢) أمْ شِهابُ ... هفا كالبرقِ ضَرَّمَهُ(٣) التهابُ

(٦) وقال ابنُ خروف(**):

حلبْتُ الدهرَ أشطُرَهُ(٤) ... وفي حَلَبٍ صفاحَلَبي

(٧) وقال أحمد شوقي(***):

وكلُ حسْنٍ كَامنٌ أو بادي ... أودَعهُ اللهُ اللسانَ البادي

(٨) وقال الأمير عبد الله الفيصل:

وما أَمرَّ الدهْرَ مَرّ بي ... منْ غيرِ أن يُملا فراغُ العُمُرْ

(*) **ابن أبي الهيثم**: أكبر أعلام الأدب العربي في القرن الخامس الهجري. شاعر وناثر وعالم لغوي.

(**) **ابن خروف**: شاعر أندلسي عاش في القرن السابع الهجري ارتحل إلى المشرق ومات بحلب.

(***) **شوقي**: أشهر شعراءالعصر الحديث، ولُقب بأمير الشعراء، عاش ما بين ١٢٨٥ ـ ١٣٥١ هـ / ١٨٦٨ ـ ١٩٣٢م.

(١) جواد أصيل.

(٢) بصرى.

(٣) أشعله.

(٤) مجاز مشهور. بمعنى، خبرت الدنيا وعرفت حلو الزمن ومره.

التورية

نماذج

(١) **قال أبو نواس** في سجنِه يَستَعطِفُ جعفَر بن الربيع أخا الفضل بن الربيع وزير الرشيد :

أَأَسْلَمْتَنى يا جعفرَ بنَ أبي الفضلِ ... فمَنْ لي إذا أسلمْتَني يا أبا الفضلِ
وأيُّ فتى في الناسِ أرجو مقامَهُ ... إذا أنتَ لَمْ تفعلْ وأنتَ أخو **الفضلِ**

(٢) **قال البهاءُ زهير يتشوَّق إلى مصر :**

بلادٌ متى ما جِئْتَهَا جئتَ جنةً ... لعْينكَ منها كُلَّما شِئْتِ **رضوانُ**

(٣) **قال ابنُ نباته المصري**(*) :

قلْ لمنْ بالغُ في الفخرِ بما ... قدْ حواهَ من حطامٍ قدْ تيسَّرْ
أنتَ فَخَّارٌ بدنياكَ ولا ... بُدَّ **للفخَّارِ** من أنْ يتكسَّرْ

(٤) **قال أحمدُ الصافي النجفي يخاطب البحر :**

هلمَّ يا بحرُ أنقذني منَ البَرِّ ... ففيكَ أُلقي بعبْءِ الهِّم عن ظهري
في البرِّ نجمعُ آلاماً إلى كَدَرٍ ... وأنتَ تقبلهُا يا واسعَ الصدْرِ
نُلقي إليكَ شكاوانا فتسمعُهَا ... وتُبْدلُ الحزنَ بالأفراحِ والبشْرِ
أكادُ أقذفُ فيكَ النفسَ منْ فرحي ... مُعانقًا لاثمًا للصدرِ والنحْرِ
كالطفلِ مبتهجًا في حضنِ والده ... فإنَّ لي نسبًا في الشِّعْرِ **للبحرِ**
لم ألقَ أرْأَفَ بالأبناءِ منه أبًا ... ما زرْتُهُ قطُّ إلاّ عدْتُ بالدُّرِّ

(*) **ابن نباته المصري** : من شعراء القرن الثامن، تفوَّق في التورية بوجه خاص.

ملاحظـــات

تأملي النموذج الأول من النماذج التي أمامك، فسوف تلاحظين أن كلمة «الفضل» قد استعملت بنوع من المهارة لتؤدي معنيين: المعنى الأول، وهو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، هو اسم وزير الرشيد، فقد مهَّد الشاعر ذهننا لهذا المعنى بذكر عدد من الكُنَى (أى الأعلام المسبوقة بأب أو ابن في الأشطر السابقة). ولكننا لا نلبث أن نتبين معنى آخر للكلمة يخفيه الشاعر وراء هذا المعنى الظاهر، وهو «الفضل» بمعنى الإنعام وإسداء المعروف، وهذا هو المعنى الذى يقصد إليه حقًا، وإن كانت للمعنى الأول قيمته في الإشارة إلى أن لجعفرمن الجاه عند أولي السلطان ما يمكنه من إسداء المعروف.

وكذلك يتبادر إلى ذهن القارئ لبيت البهاء زهير (النموذج الثاني) أن المقصود هو «رضوان»، حار س الجنة، نظرًا لذكر الجنة قبله، ولكننا لا نلبث أن نتبين أنه يقصد «الرضى» أو السرور.

وعندما ترد علينا كلمة «يتكسرّ» في النموذج الثالث، نظن للوهلة الأولى أنه أراد بالفخار تلك المادة التي تصنع منها الآنية، ولكننا نتبين بعد قليل أنه أراد صيغة المبالغة من الفخر، فهذ المعنى هو الذي يلتئم مع سياق البيتين.

ولعلك تلاحظين أن التورية، قد تضمنت تشبيهًا في هذا النموذج، فقد شُبِّه الإنسان الفخور بدنياه بإناءسهل الكسر، إشارة إلى أن عَرَض الدنيا سريع الزوال، أما كلمة «رضوان» في النموذج السابق ففيها استعارة وتورية معًا، لأن الشاعر حين شبه مصر بالجنة جعل أهلها ملائكة، واستعار اسم «رضوان» لكل من تلقاه من أهل مصر. هذا إلى جانب «**التورية**» التي سبق شرحها.

فالتورية فن من فنون البديع، يعتمد على وجود معنيين للكلمة الواحدة، فيجعل الشاعر أو الكاتب أحد هذين المعنيين ظاهرًا لأول وهلة، بكلمة يدسها في السياق قبل الكلمة التي يُوَرّى بها أو بعدها، مخفيًا «وراء» هذا المعنى مقصده الحقيقي.

على أن التورية لا تجود إلا إذا كان المعنى الأول «الظاهر» ذا قيمة بالنسبة إلى فرض القائل. كالتلميح الذي لاحظناه في بيت أبي نواس، والاستعارة في بيت البهاء زهير، والتشبيه الضمني في بيت ابن نباتة.

والآن ، تأملي النموذج الرابع والأخير، فقد تلاعب فيه الشاعر تلاعبًا بديعًا بالتورية والتشبيه والاستعارة، واستطاع أن يستخدم هذه الفنون مجتمعة ليعبر عن حالته وشعوره.

هل تستطيعين أن توضحي ذلك؟

أمثلة أخرى من التـوريـة

تدل عليها الطالبة وتبين رأيها في قيمتها

(١) **قال المتنبي** يمدحُ كافوراً الإخشيدي ويذكرُ خروجَ شبيبِ بن جرير العقيلي عليه وهزيمَتَهُ وقتلَهُ:

برغم شبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّهُ ... وكانا على العَّلات يصطحبان
كأنَّ رِقابَ الناسِ قالت لسيفِهِ ... رفيقُكَ قيسيٌّ وأنتَ يماني[١]

(٢) **وقال البهاء زهير يمدح ويطلب العطاء:**

أنا ذا زُهْيرُكَ ليسَ إلاّ ... جُودُ كَفِّكَ لي مُزيْنهْ

(٣) **وقال جمال الدين بن نُباتة** يرثي جاريةً له ماتت بالسلّ:

سقى الله جسمًا منك أودى به الضَّنى[٢] ... فأودَى بعيني البُكا والتسهُّدُ
وقدْ كان مسلولاً يُهيِّجُ حسرتي ... فكيفَ بهِ تحتَ الثرَّى وهوَ مَغْمَدُ

(٤) **وقال يذكر موت أبيه وأبنائه:**

تأخرْتُ عنكم يا بَنيَّ ويا أبي ... وما أنا إلا البعضُ ماضٍ جميعُهُ
وعودُنَباتِي متى يُرتَجى بقاهُ ... وقد ماتَ منه أصلهُ وفروعُهُ

---

(١) كانت بين القبائل القيسية واليمانية خصومة شديدة في أواخر العصر الأموي.
(٢) أهلكه المرض.

(٥) وقال يشكو من كساد شعره :

لهـفي لشـعـرٍ بارعٍ نظمـتُـهُ ... تحـتـاج بهـجـتُـه لرِفـدٍ بارعِ
دُرٌّ يتيمٌ[١] قدْ تَضوَّعَ نَشْرُهُ[٢] ... يا مَنْ يرقُّ على اليـتـيم الضـائعِ

(٦) وقال السراج الورّاق :

أثـنـى عَـلَـىَّ الأنـامُ أَنَّـي ... لـم أهْجُ خَلقـاً ولا هَجَـاني
فـقلتُ لا خـيـرَ في سِـراجٍ ... إنْ لـم يـكـنْ دافِئَ اللـسـانِ

(٧) وقال :

أصـونُ أديمَ وجـهي عنْ أُناسٍ ... لقـاءُالموت عندَهُم الأديبُ
ورَبُّ الشـعـرِ عندهُمُ بَغـيضٌ ... ولوْ وَافى بهِ لهُمُ حَـبـيبُ[٣]

---

(١) يقولون : درة يتيمة : أي لا نظير لها .

(٢) فاحت رائحته الطيبة .

(٣) الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي .

التـوريـة واللـغـز

إذا تعددّت التوريات في العبارة الواحدة، وارتبطت بعضها ببعض في المعنى(١) أصبحت لغزاً، كما في قول المعّري:

إذ صَدَق الجدُّ افترى العمُّ للفتى مكارَم لا تُكْرى وإنْ كَذَبَ الخَالُ

فالقارئ يحار في فهم معنى هذا البيت، حتى يعرف أن فيه ثلاث توريات: فالمقصود: «بالجد»: الحظ، و«العم» من معانيها: الجماعة من الناس أوالقومُ، وهو المعنى المقصود، و«الخال» يقصد به هنا الظنّ «من خال يخال». فمعنى البيت إذاً: أن المرء إذا خدمه الحظ ادّعي له الناس فضائل ليست فيه. وكثيراً ما كان المعرّي يستغل معرفته الواسعة باللغة في صنع مثل هذه الألغاز.

وإليك الآن لغزاً لايحتاج إلى معرفة بغريب اللغة، ولكنه مبنيٌّ على الاستعارات، وهو من نظم السريّ الرفّاء(*):

وباكـــيـــة ليلَهـــا كُلَّهُ تُحاكي الصباحُ بمصباحِها
بصـــيـــرةُ ليلٍ ولكنَّهـــا ضريرَتُهُ عند إصباحِها
نجـزٌ لإصـلاحِـهـا رأسـهَـا فإفسادُها عندَ إصلاحِها

هل عرفت المقصود؟

---

(١) يسمى ذلك «ترشيح التورية» وهو نظير«ترشيح الاستعارة» ـ راجعي فصل «الاستعارة التصريحية»

(*) **السري الرّفاء**: من شعراءالقرن الرابع الهجري.

أمثلة من الفنون البديعية

للمناقشة والنقد

هذه أمثلة من الشعر والنثر، في عصور الصنعة البديعية، بَيِّني ما حواه كلٌّ منها من فنون البديع، وأبْدِي رأيك في قيمته:

قال الشريف الرضي:

قَـــرُبْتُ بالبـــعـــدِ من الناسِ ... وفُـــضَّتِ الأطمـــاعُ باليـــاسِ

وقال المتنبي:

ذَلَّ مَنْ يَغْـبطُ[1] الذليلَ بعـيشٍ ... رُبَّ عـيشٍ أخفُّ منهُ الحِـمَـامُ[2]

وقال ابن خفاجة الأندلسي، يصف فعل المطر بداره ويستهدي غيرها:

إذا مـا وَهَي ركنٌ فـأهوى فـإنني ... لأشْجَى[3] من الخنساءِ تبكي على صخرِ
فصِلْني[4] بدارٍ من ديارِكَ مُجْمِلاً ... فللنجمِ أنْ يحـتَلَّ منزلةَ البـدرِ
ينافسُ حُـسنًا كلَّ بيتٍ أحَلُّهُ ... بهـا كلُّ بيتٍ تبتنيـه يدُ الشُّكْرِ
فـلا تعلمُ البـيتَ الرفيعَ من البِنى ... خيـالاً من البيتِ البديعِ من الشعرِ

وقال ابن نباتة المصري:

استـشـهـدوني لطيفُ شـعـري ... والقلبُ بالجـوعِ في حـريقِ
وقـيلَ هلْ مِنْ دقـيقٍ مُـعنًّى ... فـقلتُ: لهـفي على الدَّقـيقِ؟

---

(١) يتمنى مثل ماله.
(٢) الموت.
(٣) أشد حزنًا.
(٤) امنحني دارًا.

وقال :

يَمَّمْتُ بابَكَ وهي منِّي عادةٌ ... معروفةٌ في حالة الإعسارِ
فامدُدْ إلى القَلَمِ اليمينَ فإنَّها ... نعمَ اليمينُ تكفَّلَتْ بيسارِى

وكتب أبو العلاء المعري يصوِّر بطريقةٍ ساخرة حرصَ بعضِ الناس على الذهب :

لله دَرُّ الذهبِ من خليلٍ، فإنهُ يفيءُ بظلٍّ ظليلٍ، وإنْ دُفِنَ لم يبَالِ، ما هوَ كغيرِهِ ببالٍ، أعْطى نفيسَ المقدار، فما همَّ شرفُهُ بانحدارٍ، والدُّرُّ إذا كُسِرَ ذهبَتْ قيمتُهُ ، ولم يُحفَظْ أنْ تنْحطِمَ كريمتُهُ، ورُبَّ ذهبٍ في سوارٍ، غَبَرَ زمانًا غيرَ متوارٍ، ثم جُعِلَ في خلخالٍ، تختالُ بلبسِهِ ذاتُ الخالِ[١]، ثم نُقِلَ إلى جامٍ أو كاسٍ، وهو بحسنِهِ، ما تغَّيرَ لِبشَارِ[٢] النيرانِ، ولاغَدَرَ بوَفيِّ الجيرانِ .

وكتب الحريري في إحدى مقاماته :

قال الحارثُ بن هَمَّامُ : طحا[٣] بي مَرَحُ الشبابِ، وهوى الاكتساب، إلى أنْ جُبْتُ ما بين فرغانة[٤]، وغانة[٥]، أخوضُ الغِمار، لأجنيَ الثمارَ، وأقتحمَ الأخطارَ، لكيْ أدركَ الأوطارَ[٦] .

---

(١) تكون بمعنى الخيلاء أى الزهو والكبر، وبمعنى الشامة على الخد مباشرة .
(٢) ملامسه .
(٣) ذهب .
(٤) فرغانة بلد بأقصى المشرق من العالم الإسلامي .
(٥) وغانة بأقصى المغرب .
(٦) الأماني، الأغراض .

كلمــة أخيــرة

لعل خير ما نوصيك به ـ بعد أن قطعت هذا الشوط في دراسة البلاغة ـ أن تعودي إلى «المقدمات» التى صدّرنا بها هذا الكتاب، وأن تتأملي نماذجها من جديد، مفكرة في ارتباط الخيال بالمعنى، وارتباطهما معًا باللفظ، **وحذارِ أن يستغرقَك البحث عن التشبيه أو الاستعارة أو الجناس وأنت تقرئين نصًا أدبيًا، فتنسين أنَ هذه الأساليب وغيرها ليست إلاوسائل لإبلاغ معنى إلى ذهن سامع أو قارئ. فهذا الإبلاغ هو البلاغة.** وعندما ينكشف لك هذا المعنى، تعرفين إن كان التشبيه أو الاستعارة أو الجناس أو غيرها قد استقرّ في مكانه المناسب، أو جاء نابيًا مُسْتَكْرَهًا. وهكذا يعينك درس البلاغة على تذوق الكلام البليغ.

والله الموفق....

والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على رسوله النبيّ الأميّ وسلمّ تسليمًا كثيرًا،،،

الفهـــرس

الموضوع	
مقدمة	٤
القسم الثالث : فى علم المعاني	٥
الخبر والإنشاء	٦
أغراض الخبر	١٣
أضرب الخبر	١٨
الأمر والنهي	٢٤
الاستفهام ـ أدواته	٢٩
التمني	٤٢
القسم الرابع : في علم البديع	٤٦
الطباق والمقابلة	٤٧
السجع	٥٢
الجناس	٥٧
التورية	٦٢
كلمة أخيرة	٧٠

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية